وكسرنا قرنيها أعدناها كلبة سوداء ، فتقذرتها وعفت لحمها ولم أطعم منها

ثم أومأ الى الآخر وقال : هذا لا يدرى ما طحاها ، وهو مثل العنز نحسب قرنيها للقتال والسطاح ومنهما نمسك للذبح . فقل فى هذا يا أستاذ (نابغة القرن العشرين)

قلت للآخر : أيرضيك أن أقول فى المعنى لا فيك أنت ... ؟

قال نعم ، فكتبت هذه الأبيات على ما يريد النابغة :

قل لعنز ناطحاها ... لقتال سلحاها
مالها قد طرحاها ... فى يدين ذبحاها

* * *

شيمة منى نحاها ... عقل غر فلحاها
ليس يدرى ماطحاها ... بل يرى شمس ضحاها
حجرا مثل رحاها ... ويرى الليل نحاها
ظلما طالت لحاها

* * *

ومر (النابغة) وازدهى وجعل يقول طالت لحاها ، طالت لحاها ؛ وما كان هذا إلا السرور الأصغر ؛ أما سروره الأكبر فمجئ ساعى (البريد المستعجل) الى الندى وفى يده رسالة عنوانها : نابغة القرن العشرين فلان بندى كذا

وجعل الرجل يهتف بالعنوان يسأل عن صاحبه ؛ فتطاولت أعناق الناس ورفعوا أبصارهم ينظرون الى (نابغة القرن العشرين) وقد مد يده يتناول الرسالة وكأنه ملك من القدماء أسقط له كتاب بالفتح العظيم وبضم دولة الى دولته

ثم ترك الرسالة بين أصابعه يقلبها ولا يفضها ونحن فى دهشة من أمره ؛ فنظر فيها المجنون الآخر وقال له : هذا عجيب يا أخى كيف هذا ؟ إن هذا لا يصدق . إنك لم تتلقها فى صندوق البريد إلا منذ ساعة ... ...

(لها بقية) مصطفى صادق الرافعى

المبشرون : كتب الينا فاضل يذكر بعض سخافات المبشرين نقلها من أحد كتبهم وسألنا الرد عليهم فأبلغ الرد على هؤلاء تجنبهم وإهمال كل ما يكتبون إذ هم مصابون بجنون الفكرة الدينية ؛ ومثلهم فى كل ما يكتبونه عن الاسلام مثل رجل أمريكى (نابغة) ... يريد أن يقيم الدليل على أن الجمل العربى إنما هو مصنوع فى مصانع فورد ... ... الرافعى

٢ ـ الصقالبة فى الرواية العربية
وفى الدولة الأندلسية
للأستاذ محمد عبد الله عنان

— ٣ —

ونلاحظ أنه بينما كان نفوذ الصقالبة يقوى ويشتد فى بلاط قرطبة وفى الدولة الأموية فى الأندلس ، إذا بنفوذ الصقالبة يغزو بلاطا إسلاميا آخر ودولة إسلامية أخرى هى الدولة الفاطمية ؛ ومما يدعو إلى التأمل أن يزدهر النفوذ الصقلبى فى البلاط الفاطمى فى نفس العصر ، أعنى فى أواسط القرن الرابع الهجرى ، وفى ظروف مماثلة ؛ وقد قامت الدولة الفاطمية فى المغرب بمؤازرة القبائل المغربية القوية ، واستأثر زعماؤها مدى حين بمناصب الثقة والنفوذ ؛ ولكن تطورا وقع فى السياسة الفاطمية ؛ ومنذ عهد المعز لدين الله يغزو نفوذ الصقالبة البلاط الفاطمى ويغالب نفوذ المغاربة ؛ وقد كان جوهر الصقلى أعظم أعوان المعز وكبير قادته من أصل صقلبى ، وكان له فى الدولة وفى الجيش أعظم نفوذ ؛ وفى عهد العزيز سما نفوذ الصقالبة وساد فى القصر وفى الوزارة ؛ وبلغ ذروة قوته فى أوائل عهد الحاكم بأمر الله الذى تولى الملك صبيا وتولى الوصاية عليه صقلبى هو برجوان ؛ وفى عهد وصايته القصير سيطر الصقالبة على القصر والدولة ، واستأثر بمناصب النفوذ والحكم نفر من الفتيان الصقالبة مثل يانس وميسور وعين وغيرهم ؛ ولكن الحاكم لم يلبث أن تخلص من هذا النفوذ الخطر بمقتل برجوان ونكبة الفتيان الصقالبة ، وبذلك انهار نفوذ الصقالبة فى البلاط الفاطمى [1]

وكان ذلك فى أواسط القرن الرابع وفى أواخره حيث كان يزدهر نفوذ الصقالبة فى بلاط قرطبة فى عهد الناصر حسبما بينا ، ثم فى عهد ولده الحكم المستنصر من بعده . ولما توفى الناصر كان نفوذ الصقالبة أشد ما يكون بسطة فى القصر وفى الحكومة ؛ وكان فتيان القصر الصقالبة وهم المعروفون بالخلفاء الأكابر أول من أخذ البيعة

(١ المقريزى (مصر) ج ٣ ص ١٧ و ١٨ وج ٤ ص ٦٨

للحكم المستنصر ؛ وكان حاجب الحكم ، جعفر بن عبد الرحمن الصقلبي أقوى وأعظم رجل فى الدولة[1] ؛ وكان الحرس الخلاق المكون من الفتيان الصقالبة سياج البيعة الخلافية وأبرز مظاهرها ؛ وكان من وزراء الحكم أيضاً زياد ومحمد ابنا أفلح الصقلبي صاحب الخيل فى عهد الناصر[2] ؛ وفى عهد الحكم غدا الحرس الخلافى كل شىء فى القصر ، وغدا عصمة الخلافة والخليفة يسهر على سلامة عرشه وشخصه ، وبحميه من المؤامرات والدسائس الخارجية ؛ وكان أولئك الجند الصقالبة يعتدون بقوتهم وسلطانهم ويمرحون فى العاصمة ويسيئون أحياناً إلى أهلها ، وكان الحكم يخشى بأسهم ويغضى عن تصرفهم وسوء سلوكهم[3] ؛ وكان عدد الحرس الخاص من الفتيان الصقالبة يبلغ زهاء الف ، بيد أنهم كانوا يتمتعون بوفرة فى الوجاهة والثراء ، ويملكون الضياع الشاسعة ، ويسيطرون على كثير من الأتباع والحاشية[4]

وهكذا أصبح الحرس الخلافى أو الفتيان الصقالبة فى بلاط قرطبة أصحاب الحول والقوة ، وغدوا عاملا يحسب العرش حسابه ، بل غدوا قبل بعيد حكما فى مسألة العرش وولاية العهد ، مثلما غدا الحرس التركى فى بلاط بغداد . ولما توفى الحكم (سنة ٣٦٦هـ - ٩٧٦ م) كان الصقالبة هم سادة الموقف وأصحاب الكلمة فى ولاية العرش والخلافة . وكانت زعامتهم بيد فائق النظامى صاحب البرد والطراز ، وجوذر صاحب الصاغة والبيازرة ، والهما كان أيضاً أمر الغلمان الفحول خارج القصر . وكان رأى الصقالبة أن يصرف النظر عن تولية ولى العهد هشام بن الحكم ، وهو يومئذ غلام فى نحو الحادية عشرة حتى لا يفقدوا نفوذهم فى ظل وصاية جديدة ، وأن يولى الخلافة أخو الحكم المغيرة بن عبد الرحمن الناصر فيكون لهم بذلك فضل يمكنهم من توطيد نفوذهم وسلطانهم عليه ؛ ولكن الحاجب جعفرا المصحفى أدرك مايضمره الصقالبة من وراء هذا المشروع ولم يقرهم على اثمارهم بولى العهد ؛ ونظم البيعة لهشام ولى العهد بمعاونة الوزير محمد بن أبى عامر ؛ ودبر الاثنان مقتل المغيرة بن الناصر خشية مناوأته ، وتولى ابن أبى عامر تنفيذ الجريمة ، وبذا استقر هشام المؤيد فى العرش الخلافى ؛ وانهار مشروع الصقالبة ؛ ودبت الوحشة على أثر ذلك بين الصقالبة والحاجب جعفر ، فأخذ يتحين الفرصة لسحقهم ؛ وكان ابن أبى عامر يستميل الصقالبة ويداريهم بادىء ذى بدء حتى تمكن نفوذه فى القصر وفى الجيش ؛ وعندئذ اتفق مع الحاجب على نكبة الصقالبة وتشريدهم ، ولم يدخر فى ذلك وسيلة ظاهرة أو مستترة حتى شرد زعماؤهم واستصفيت أموالهم وأخمدت شوكتهم ، ونفى زعيمهم فائق إلى الجزائر الشرقية (جزائر البليار)[1] ، وفى ذلك يقول شاعر معاصر هو سعيد الشنتريني :

أخرج من قصر امام الهدى ... كل فتى منبسط جائر
فمن رأينا منهم قال لا ... مساس قبل الناس بالشاكر
نخاف ظهر الملك المرتضى ... قد خف من ثقلهم الظاهر
وسال ماء العلم من وجهه ... مذ مال عن حبلهم الخاثر
فلازم الميدان فى قصره ... مع الوزير الخير الطاهر

ولما استبد ابن أبى عامر وسحق كل خصومه ومنافسيه واستبد بالسلطة ، رأى أن يتخذ من البربر بطانة له وخولا وأن يستعين بهم على العرب ، فقدمهم فى الحكومة والجيش ، وعمل على تمزيق القبائل العربية ؛ وكانت العصبية العربية قد اضمحلت منذ بعيد ، فلم تلق السياسة الجديدة معارضة تذكر ؛ وهكذا حل البربر مكان الصقالبة فى الالتفاف حول السلطة العليا والتمتع برعايتها ، بيد أن الصقالبة لم يفقدوا كل نفوذ بعد ، فقد استمر عدد كبير منهم يشغل وظائف الخاص بالقصر ؛ ولما أنشأ ابن أبى عامر حاضرته المعروفة بالزاهرة ، واتخذ سمة الملك وتسمى بالحاجب المنصور ، عاد إلى اصطناع الصقالبة ، واتخذ منهم إلى جانب البربر حاشية وبطانة ؛ وحشد منهم كثيراً فى الجيش[2] ؛ والظاهر أن هذه الطائفة أعنى الصقالبة كانت تتمتع بصفات وخلال خاصة تجعلها أداة لينة صالحة فى يد السياسة القوية الحازمة ، وإذا كان الصقالبة قد بدوا فى أحيان كثيرة خطرا على الدولة والعرش فقد كان ذلك من أثر السياسة التى تمدلهم فى السلطة وتسمح لهم باستغلالها ، وتغضى عن صلفهم وتمردهم ؛ وقد

(١) نفح الطيب ج ١ ص ١٨٠ — البيان المغرب ج ٢ ص ٢٥٨
(٢) نفح الطيب ج ١ ص ١٨١ — ابن الأبار فى الحلة السيراء ص ١٥٤
(٣) Dozy ; ibid II P. 255
(٤) البيان المغرب ج ٢ ص ٢٧٧

(١) البيان المغرب ص ٢٨٠ و ٢٨١ — ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٧ — Dozy ; ibid ; II 207
(٢) ابن خلدون ج ٤ ص ١٤٨

كانت هذه حال الصقالبة فى عهد الحكم المستنصر وحين وفاته ، فقد بلغ من سلطانهم ونفوذهم أن اعتزموا التصرف فى أمر العرش طبق أهوائهم ، ولولا أن سحقتهم يد ابن أبى عامر القوية لاستمر سلطانهم المطلق . بيد أن ابن أبى عامر لم يجد بأسا بعد أن أخمد شوكتهم وشرد زعماءهم من أن يستخدمهم أداة لتنفيذ إرادته ، بل لم يجد بأسا من أن يرفع بعضهم الى أسمى المناصب ، كما حدث فى شأن مولاه الفتى واضح الصقلبى ، فقد منحه حكم الولايات الجنوبية وولاه قيادة الجيش الذى بعثه لمحاربة أقوى وأخطر خصومه زيرى بن عطية البربرى حاكم المغرب الأقصى ؛ وقد كان لواضح هذا وعصبته الصقالبة شأن عظيم فيما تلا من الحوادث والخطوب

— ٤ —

ولم يستطع الصقالبة فى ظل حكومة المنصور القوية أن يتدخلوا فى شؤون الدولة أو يؤثروا فى سيرها وتوجيهها ؛ فلما توفى الحاجب المنصور (٣٩٣ هـ ـ ١٠٠٢ م) ، وانهارت الدولة العامرية بعدئذ بقليل ، رأى الصقالبة الفرصة سانحة للعمل ، فانضموا إلى الحزب الأموى الذى عمل لاسقاط الدولة العامرية وسحق البربر الذين آزروها ومكنوا لها ؛ ولما ظفر محمد بن هشام زعيم هذا الحزب ببغيته واستولى على قرطبة وتلقب بالمهدى ، انضم اليه الفتى واضح وعصبته الصقالبة واتخذ واضحا لحجابته وانضم فريق آخر من الصقالبة بزعامة خيران العامرى وزميله عنبر إلى سليمان المستعين خصم المهدى ومنافسه ، وجرت بين الفريقين مواقع جمة ، واستتب الأمر للمهدى ؛ ولكن الصقالبة لم يخلدوا إلى السكينة ورأوا صالحهم فى إبعاد المهدى عن العرش ، فتفاهم الصقالبة من الحزبين وائتمر واضح وخيران بالمهدى فقتله الصقالبة ، فى الحمام (سنة ٤٠٠ هـ) وأخرج واضح الخليفة المؤيد هشام المحجور عليه ، وكان سجينا بالقصر منذ أيام المنصور ، وأجلسه على العرش ؛ وتولى واضح حجابته ، واستأثر بكل رأى وسلطة ؛ وقبض على ناصية الأمور فى قرطبة مدى حين ؛ ولكن سليمان المستعين لم يلبث أن هاجم قرطبة فى جموعه البربر ثم دخلها رغم كل ما اتخذه له واضح من الأهبة لمقاومته ، وفتك جنده بالسكان أيما فتك ، واقتحموا مدينة الزهراء وخربوها (٤٠١ هـ) ؛ فعندئذ رأى واضح السلامة فى خيانة المؤيد واللحاق بالمستعين ؛ ولكن الجند الصقالبة وقفوا على نيته فى الوقت المناسب فقتلوه ؛ واستمر الصقالبة فى الدفاع عن قرطبة وعن المؤيد وعرشه ، والمستعين يحاول استمالتهم عبثا ، واضطرمت الحرب بين الفريقين مدى حين ، وانتهت باستيلاء سليمان على قرطبة فى مناظر هائلة من السفك والعيث (٤٠٣ هـ) وانهار سلطان الصقالبة بانهيار عرش المؤيد ؛ وبدأ سلطان البربر ، واستأثروا بحكم الثغور والنواحى ، وانتثر عقد الخلافة وانقسمت الأندلس الى دويلات وإمارات صغيرة ، وبدأ عهد الطوائف

بيد أن الصقالبة لم ينسحبوا نهائيا من الميدان ، ولم يختفوا نهائيا كعامل يؤثر فى سير الحوادث فقد اجتمع فلهم حول زعيم منهم ، من صنائع الدولة العامرية ، هو خيران العامرى ؛ واستقر خيران بمعصبته ومن لحق به من خصوم المستعين والبربر إلى المرية بعد أن استخلصها من يد البربر ؛ وفى الوقت نفسه عبر على بن حمود حاكم سبتة فى جيش من البربر الى الأندلس محاولا أن يشق له خلال الاضطراب طريقا ، وتفاهم مع خيران العامرى والصقالبة وتحالفا على محاربة المستعين ، ثم زحفا بجموعهما على قرطبة ، ونشبت بين الفريقين حرب دائمة هزم فيها سليمان وأسر ثم قتل مع أفراد أسرته ؛ وجلس على بن حمود على العرش وتلقب بالمتوكل (٤٠٧ هـ) . ولجأ فى الحال الى سياسة الأرهاب والشدة ، ولم يترك أى مجال أو سلطة للصقالبة ، فسخط عليه خيران وتركه ، وأظهر الخلاف عليه . وأثار المتوكل بعطشه وشدته زعماء العرب ، واشتدت عليه النقمة ، ولم يلبث أن قتله الصقالبة فى الحمام (أواخر سنة ٤٠٧ هـ) وبذلك استطاعوا أن يؤثروا فى سير الحوادث كرة أخرى

ولما توفى المتوكل خلفه أخوه القاسم بن حمود وتلقب بالمأمون ، وعدل عن سياسة الشدة إلى اللين والمسالمة ؛ واستمال خيران العامرى الذى استعصم بالمرية ، وأقطع زميله زهيرا العامرى ولاية جيان ؛ وكانت الحوادث تتطور بسرعة ، وكان الخلاف يضطرم فيما بين آل حمود ؛ فانتهز الزعماء العرب تلك الفرصة وتفاهموا مع الصقالبة ضد آل حمود والبربر ، واستخلصوا قرطبة من يد المتغلبين عليها ؛ بيد أن نجم الصقالبة كان بدأ بالأفول ، ولم يكن يستطيع يومئذ إلا غرارا ؛ وكانت دولتهم قد انهارت فى الواقع وتفرقوا بين مختلف الصفوف والأحزاب ؛ وكانت آخر مظاهر سلطتهم أن تولوا الحجابة لادريس بن حمود الذى استقر فى مالقة وتلقب بالتأيد بالله ، فتولى حجابته نجا الصقلبى مدى حين ، ولكن دون عصبية ظاهرة

وكان هذا آخر العهد بتدخل الصقالبة فى سير الحوادث الأندلسية بصورة بارزة . ومن ذلك الحين يختفون من ميدان الشؤون الأندلسية كقوة فعالة لها أثرها الحاسم فى توجيه الحوادث ، ومن ذلك الحين يبزغ نجم البربر ؛ وتتحول المعركة الداخلية الى نضال مزدوج ، نضال ملوك الطوائف فيما بين أنفسهم ، ثم نضالهم ضد العدو المشترك أعنى أسبانيا النصرانية ؛ ثم يجىء دور البربر فى السيادة المطلقة بسرعة ، فتنهار دول الطوائف الصغيرة تحت ضرباتهم القوية ، وتسقط الأندلس فى يد المرابطين ثم يفتتحها الموحدون ، فتستمر سيادة البربر عصراً آخر ؛ ثم تنهض مملكة غرناطة فى تلك القفار والخطوب العصيبة فتستطع فى الأندلس حتى يحل الصراع الأخير .

تم البحث

محمد عبد الله عنان

(النقل ممنوع)

وحى القلم

مقالات الأستاذ الرافعى

مائة مقالة فى جزأين

ألح القراء على الأستاذ « مصطفى صادق الرافعى » فى جمع مقالاته ، فهيأ للطبع مائة مقالة تقع فى جزأين كبيرين ، وقد فتح باب الاشتراك إلى آخر شهر ديسمبر من هذه السنة ، وجعل قيمة الاشتراك فى الجزءين عشرين قرشاً صاغاً غير أجرة البريد وهى ثلاثة قروش لداخل القطر المصرى ، وخمسة عشر قرشاً للأقطار الأخرى كى يرسل الكتاب مسجلاً

وسيكون الثمن بعد الطبع أربعين قرشاً صاغاً ، ولا يطبع فوق عدد المشتركين إلا قليل ، وترسل قيمة الاشتراك باسم الأستاذ الرافعى فى طنطا ، والمقيمون فى القاهرة يشتركون من إدارة « مجلة الرسالة »

مذاهب الفلسفة

مذهب الذرائع

PRAGMATISM

للأستاذ زكى نجيب محمود

لقد لبثت الفلسفة دهراً طويلا تسبح فى سماء الفكر المجرد ، فلا تصغى بآذانها الى الحياة العملية التى تعج بأصدائها أرجاء الأرض جميعاً . ولا تحفل بالواقع الذى تراه الأبصار إلا قليلا ، فقد قصرت مجهودها — فى الأعم الأغلب — على جوهر الأشياء فى ذاتها ، وأخذت تسائل : ما المادة وما الروح وما مبعثهما ؟ ولكنها باءت بعد طول الكدح والعناء بالفشل والافلاس ... حتى جاء الفكر الأمريكى الحديث الذى يقدس العمل ويعقت البحث النظرى المجدب العقيم ، وأراد أن ينحو بالفكر نحواً جديداً ، فلا يكون من شأنه كنه الشىء ومصدره ، بل نتيجته وعقباه . ولقد كان أول من صاغ هذا المذهب وليام جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠) الذى اعترف أنه قد استمد أصوله وقواعده من أشتات قديمة . وأن له فضل الصياغة والتعبير . أما رسالته التى قصد إلى أدائها بمذهبه فهى فى أوجز عبارة : أن يتخذ الانسان من أفكاره وآرائه ذرائع يستعين بها على حفظ بقائه أولا ، ثم على السير بالحياة نحو السمو والكمال ثانيا

إنه لمن الغفلة والشطط أن نُؤتى هذه القوة العقلية فنبددها فى البحث عما وراء الطبيعة من قوى مما لا غناء فيه للانسان ولا رجاء ؛ إن العقل إنما خلق ليكون أداة للحياة ووسيلة لحفظها وكمالها ، فلينصرف الى أداء واجبه ، وليضرب فى معمعان الحياة العملية الواقعة ، فليست مهمته أن يصور بريشته عالم الغيب المجهول ، الذى لا يكاد يربطه بحياة الانسان سبب من الاسباب ، وليكن مقياسه الذى يفصل به بين الحق والباطل هو مقدرة الفكرة المعينة على إنجاز أغراض الانسان فى حياته العملية ، فان تضاربت الآراء وتعارضت ، كان أحقها وأصدقها هو أنفعها وأجداها ، ذلك الذى تنهض التجربة العملية دليلا على فائدته . وكل شىء يؤثر فى الحياة تأثيرا منتجا يجب أن يكون فى اعتبارنا هو